

## علي الشرقي ..الشاعر المجدد

بقلم محمد كاظم الكريطي

كان من العسير التكهن بولادة جيل من الشعراء يضاهي – أو على الأقل يساير – جيل الشعراء العمالقة في العراق في القرن الثامن عشر أمثال السيد محمد سعيدالجبوبي والسيد حيدر الحلي والشيخ عبد المحسن الكاظمي وغيرهم، لكن الجيل الذي تلاه لم يكن يقل عنه – إن لم نقل أنه فاقه – في إنجاب الشعراء الكبار الذين رفعوا راية النهضة الأدبية في العراق وسعوا الى تطوير الشعر شكلاً ومضموناً وخاضوا به مختلف الميادين السياسية والاجتماعية والفكرية وعالجوا به كثيراً من القضايا التي تستحق المعالجة لذلك تميز شعرهم بالثراء وكثرة التفاصيل وتعدد المفاصلوالموضوعات وكان من أقطاب هذه النهضة الأدبية الذين تركوا بصماتهم واضحة الأثر فيتطور الشعر العربي وسجلوا أسماءهم بحروف لامعة في سجله الخالد الشببي والصافي والجواهري وشاعرنا علي الشرقي الذي اشتهر بربايعياته التي تناول فيها بعض القضايا الفلسفية وقضايا الحياة وكثيراً من مشكلات المجتمع العراقي ومنها مشكلة الفلاح وكان يستهدف بذلك الوضع السياسي والاجتماعي بكل صراحة وجرأة.

ولد الشاعر الشيخ علي ابن الشيخ جعفر ابن الشيخ محمد حسن بن احمد بنموسى بن راشد بن نعمة بن حسين في مدينة النجف الأشرف عام 1308 هـ الموافق 1890م وينتمي في نسبه الى عشيرة الفراغنة وهم من بني خيقان وهي تشكلجزءاً من مجموعة العشائر القحطانية التي يسكن معظمها في سوق الشيوخ في الناصرية حيث كانت عشيرة الشاعر تسكن على ضفاف الغرّاف بالقرب من قرى "حطامان" التابعة لقضاء الشطرة.

نشأ شاعرنا في بيت علم وأدب فقد كان والده الشيخ جعفر الشرقي من كبار الشعراء والعلماء آنذاك كما كان خاله الشيخ عبد الحسين بن عبد علي الجواهري – والد الشاعر الجواهري – من المراجع الكبار والعلماء الأعلام والشعراء الأفذاذ وكانت صلة شاعرنا به وثيقة كما كانت له قرابة أيضاً مع الشيخ هادي ابن الشيخ عباس آل كاشف الغطاء وقد مكنته هذه الصلات والوشائج من التحصيل الجاد ومواصلة البحث وممارسة الأدب.

يقول شاعرنا وهو يصف بواكير حياته العلمية والأدبية في النجف واصفاً الأجواء والمجالس التي نهل منها علومه وأدابه فيقول "نشأت ورفاقي في مدينة النجف فكانت التلمذة في أقدم مدرسة للأدب العربي تلك المدرسة التي مشى إليها الموكب من جزيرة العرب الى الحيرة ومنها الى الكوفة ومنها الى النجف وهي نسيلة الكوفة أو

بقيته" الشاعر 20% المجدد الشاعر 20% المجدد الشاعر 20% المجدد.  
تعد النجف من أهم المدن العلمية والأدبية المحافظة على التراث العربي والإسلامي وقد درس فيها شاعرنا العلوم السائدة آنذاك كالنحو والصرف والبلاغة والمنطق والأصول والفقه كما درس الفلسفة ولكن شاعرنا لم يكتف بهذه العلوم بل أخذ يتطلع الى الآفاق الأدبية فيقبل على الشعر يقرأ ويحفظ منه الكثير.  
وكان لإمامه الكبير بالتراث العربي القديم واطلاعه الواسع على التيارات الأدبية التي كانت تطل على العراق في أوائل القرن العشرين من خلال الصحافة العربية في مصر وسوريا أثر كبير في نبوغه وتفتح مواهبه فكتب الشعر وهو في سن مبكرة فقد ظهرت بواكير شعره في السياسة عام 1908 بما كان ينشره في الصحف آنذاك من قصائد تصور الحياة والمشكلات السياسية والاجتماعية يقول في قصيدته "مناجاة النجوم" وهي من أوائل ما كتب من الشعر:

أمالئة الأبعاد علماً وحكمةً تعاليت أن يحوي صفاتك شاعرُ  
نشدتك كم طالعت قبلي حائراً وكم بات يستقر بك مثلي ساهرُ  
أهيمُ إذا سابت غدائر ليلتي وما أنا ممن هيّمته الغدائرُ  
ولكن لي بين النجوم سريرة سألبي وتبقى يوم تُبلى السرائرُ  
سلام على أهل القبور فإنني بُليت بموتى ما حوتها المقابرُ

تطلع الشرقي الى أفاق جديدة في مراحل شبابه وقد ساعده على هذا التطلع استعداده الفطري وسعة اطلاعه على الثقافات المعاصرة في البلاد العربية وكذلك أسفاره التي قام بها الى خارج العراق حيث زار لبنان وسوريا والحجاز والخليج العربي وقد ظهر أثر هذا في شعره الحافل بالصورة الجديدة المبتكرة والمعاني المستحدثة والعبارات الشيقة.

أما شعره السياسي فقد طفح بحسه الوطني في مقارعة الاحتلال والدعوة الى الحرية والاستقلال. يقول في قصيدته " تحية العلم العربي" والتي قالها عام 1921

أمدينة في إثر أخرى تستبى وطريقة في إثر أخرى تعنقى  
حتى إذا رجفت ديار ربيعة وتزعزعت أرض الحجاز تخوّفا  
والشام قد أودت وأودى أهلها إلا قليلاً والعراق على شفا  
حسب الجزيرة حيفها وجفاؤها أو ما كفى ضيم البلاد أما كفى

كان الشرقي منذ شبابه يتحف بشعره هذا صحف العراق ولبنان على شكل قصائد ورباعيات وموشحات ومزدوجات وقد تناول فيه كبقية معاصريه من كبار شعراء النهضة الأدبية قضايا الوطن العربي في الحجاز وسوريا ولبنان ومصر وليبيا وكان شاعرنا يشارك في تلك الأحداث مشاركة واعية ظهرت بداياتها في حرب طرابلس مع

ايطاليا في سنة 1911 فكان له فيها العديد من القصائد يقول في إحداها عام 1911 عندما هاجم الايطاليون طرابلس الغرب وبرقة:

ما لروما فلا استوى عرشُ روما فتلت ذيلها وعجت نباحا  
جبنت عن نضال كل قوي فأغارت على الزوايا اكتساحا  
نطحت) برقة (وبرقة واحات من النخل ما عرفن النطاحا  
أبني العرب لا براح عن الحرب وإلا عن الفخار براحا  
ورمال الصحراء لا ترهب الأشباح إن جلن جيئة ورواحا

كما لم يغفل الشرقي جانباً كبيراً من رسالة الشاعر وهو الدعوى الى الوحدة ونبذ الخلافات فقد كان شاعرنا يمارس هذه التجربة في شعره بإسلوب هادئ وامتزن ورصين:

هل تدري صنعاء ونجدُ أننا نحتاج تأريخاً جديداً للعرب  
قد طوي الفسطاط من مصر وقد نامت بنو حمدان عنك يا حلب  
وكوفة الجند اضمحلّ جندها وقد خلا المنبر من تلك الخطب  
لا ريشة للصقر في أندلس والشام لم يبق بها إلا الزغب  
تناست البصرة أخوان الصفا وانقطع المربرد (عن كل سبب  
فقل لصنعاء ونجد إذ أتى دورهما هل يرجعان ما ذهب؟  
بغداد ما عاد الفرات يابساً وأرض مصر لم تهدد بالجدب  
بوركت يا نيل فقد أخصبتها بحاصل من أدب ومن نشب

أما باقي قصائده فنجد فيها شعراً رائعاً دلّ على باعه الطويل في التراث العربي واطلاعه على الثقافات المتجددة ففي قصيدته (السيف والقلم) (التي عارض بها قصيدة أبي تمام:

السيفُ أصدقُ أنباء من الكتبِ في حده الحد بين الجد واللعبِ  
فيقول شاعرنا وهو ينتصر للقلم على السيف:  
هذب يراعك وأنصر دولة القلم وأحمل على الدهر في جند من الكلم  
السيف يثلم إن طال القراعُ به وفي اليراعة سيف غير منثل  
لم يقسم الله في الذكر المبين به وإنما شرف الأعلام بالقسم  
لا يصلح السيف إلا للقراع وذا للعلم، للفضل، للأدب، للنعم  
أن أصبحت أمةً بالسيف بائدةً إن اليراعة تحيي سالف الأمم  
ما علمَ الله انساناً بصارمه وإنما علم الانسان بالقلم

وقد أبدع الشاعر أيّما إبداع بموشحاته حتى يكاد لمن يقرأ هذه الموشحات أن يظن أنه يقرأ لشاعر أندلسي، ويقول شاعرنا عن السبب في ميله الى هذه الموشحات "تجدني أحاول الزحزحة عن الاتجاه القديم فأخرج عن الأدب المدرسي حتى لا يكون ما أنظم وفقاً على طائفة خاصة اعتادت أن تجعل معاجم اللغة الى جنب الدواوين، على أنني أحرص كل الحرص على اللغة الفصحى وجمالها كما وأنحرف عن القصيدة المطولة ذات الوزن المديد الى الشرقيات والموشحات لما في ذلك من حسن الإيقاع وبراعة الاختصار فقد لطف ذوق القارئ حتى أصبح يمل الإطالة والبعثرة ويرى الجميل بالشعر أن يكون قطعاً كما يقتطف البلبل الوردية"، ويقول في موشحته " صفيّر العسس":

عدنا وعادت حالنا الراكدة يسألنا التاريخ ما الفائدة  
خُصنا شؤوناً جمّة فلنقم نفحصها واحدة واحدة  
\* \* \*

شعبك عن غفلته ما أرعوى يا سمكاً في كلّ يوم يصاد  
لم يبق في تمرك غير النوى واكتست الجمرة ثوب الرماد  
فكم دم طاح ومال شوى وصيحة قد صعقت في البلاد  
وكم هتفنا وهزنا اللوا ليوم هول مثل يوم التناد

أما في موشحته "نشيد العراق" فيقول:

أريد لحناً إن وقّعه يقال هذا اللحن العراقي  
أريد صوتاً أن يسمعه يقال هذا صوت العراق  
هذا المغني يريد بوقاً من العراق الى العراق  
فيا حماماً يريد طوقاً من العراق الى العراق  
يا شعر إنني أريد جوقاً من العراق الى العراق  
أريد طبعاً أريد ذوقاً من العراق الى العراق

أما رباعياته التي اشتهر بها وخاصة مطوّته " البلبل السجين" فقد اعتمد فيها على الرمزية معللاً ذلك بقوله: " أما ما يشبه الرمزية التي جاءت في نواحي الديوان فقد رغبت في أن تكون في الاتجاه الذي أريده لأنها أقرب تعبير عما في النفس من الكبت ولأنها الصورة الكاملة للحس الباطني الذي أتحسس به فهي التأدية المستطاعة في عصر لم يمارس حرية الكلام تماماً ولم يتعود الصراحة في الرأي".  
ويقول في رباعيته " صور ونوازع":

خليليّ ماذا يقول العراق إذا قيل بغداده والنجف  
يموج دماً قلب هذا العقيق لسوق تزاحمه بالخزف

أسوق الزخارف والتافهات فيك تعارض سوق التحف  
مضى زمن التمر يا غارسين نخيلاً وجاء زمان الحشف  
\*\*\*\*\*

أتخضع دولة العقلاء دوماً لسلطان الغرائز والطباع  
وهل للناس أغراض بحرب توجب غير أغراض الضباع  
ميول ضاريات مبهمات تحفّزنا لندنيا من صراع  
جنون الفرد يزعجنا ويؤذي فويل من جنون الاجتماع

أما رباعيته الطويلة "البلبل السجين" فقد سجل فيها كل ما عاناه الشاعر في هذه  
الحياة القاسية وما اتصل بها من آلام وآمال وطوارئ وحوادث فضلاً عن رؤيته نحو  
الأحداث والانقلابات والحروب والممارسات القمعية للاقطاعيين نحو الطبقة المسحوقة  
يقول فيها:

أيها البلبل المعلق في السجن سلام لعل حالك حالي  
فجناحك مثل قلبي يا بلبل قد رفرفا لضيق المجال  
لعب التافه الرخيص من الناس مع الدهر بالنفيس الغالي  
وإذا الورد في الحوانيت والطير وراء الأبواب والأقفال  
\*\*\*\*\*

أيها البلبل المعلق في السجن سلام عليك في السجناء  
ما دهتك الأعداء بالسجن يا بلبل لكن سجنك للأصدقاء  
إنني دائماً أراك وحيداً بلبلي هل عرفت عقم الاخاء  
لم تغرد في السجن كي تطرب القوم ولكن غرّدت للإزدراء

أما في ثنائياته أو "مزدوجاته" فقد أطلق صرخة ناقدة للوضع السياسي آنذاك كما لم  
تخلُ من موعظة وحكمة يقول فيها:

عازفاً فوق كومة من جماجم بالياتٍ من أقدم الأحقاب  
باحثاً في رفاتها المترالك عن رؤوس الأعيان والنواب  
\*\*\*\*\*

ليته حلّ ساعة الانعقاد برلمان يضيّع الناخبينا  
باحث عن مكافحات الجراد ومزيد بليّة الزارعينا

انفرد الشرقي في شعره بمظهر بارز من بين معاصريه وهو لغته واسلوبه في معالجة  
الشعر فقد كان يستعمل الرمز والايحاء والأمثال القديمة والحديثة والتشبيهات  
والاستعارات والكنيات والأخيلة المتنوعة ليباعد عن الإسلوب التقريري المباشر ولم

يبتعد في لغته عن استخدام كثير من المفردات الشائعة في بيئته ولكنه كان يستخدمها بأداء سمح طبع ينسجم مع تلك المعاني والصور والأخيلة.  
ولم يقتصر الشرقي في أدبه على الشعر فقد خاض ميدان النثر وقد عدّه البعض من كبار الكتاب في الوطن العربي وقد كتب في مواضيع تاريخية واجتماعية وسياسية وأدبية وقد نشر معظمها في الصحف والمجلات ومن آثاره الأدبية فضلاً عن ديوانه:

- 1- ديوان السيد ابراهيم الطباطبائي – تعليق ونشر - عام1914
  - 2- في ذكرى السعدون عام1929
  - 3- الأحلام – مذكرات – عام1963
  - 4- العرب والعراق – في التاريخ – عام1963
  - 5- الألواح التاريخية – دراسات وبحوث متفرقة.
  - 6- الكتاب الصغير – مجموعة مقالات نشرت في مجلة العرفان1912
  - 7- بيت الأمة – مجموعة مقالات عامة.
  - 8- الإمام النائيني – في ذكراه – نشرت في جريدة البلاد عام1935
  - 9- عبد الحسين الأزري في ذكراه – مقالة أدبية تحليلية1956
- وغيرها من المقالات والبحوث والدراسات الكثيرة.

هذه أهم الجوانب الأدبية في حياة شاعرنا علي الشرقي وهناك جانب آخر مشرق في حياته وهو الجانب الجهادي ضد الاحتلال الانكليزي نكتفي بمقتطفات منه خشية الإطالة فقد واكب شاعرنا مسيرة الجهاد ضد الاحتلال الانكليزي والتي قادها العلماء والعشائر من النجف الى الناصرية فالبصرة عام 1915 م وقد رافق المجاهد الشاعر السيد محمد سعيد الحبوبي خلال مسيرة الجهاد وكان مبعوثه المفضل الى عشائر الغراف بما كان لأسرته من مكانة علمية وأدبية هناك ليحثهم على محاربة الانكليز.  
- رشح الى عضوية مجلس النواب عن لواء المنتفك (ذي قار) عام1927  
- عين عضواً في مجلس التمييز الشرعي الجعفري عام 1927 فأثر الاستيطان في بغداد حيث مقر وظيفته.

- مارس القضاء الشرعي عام 1933 مدة ستة أشهر.
- اختير رئيساً لمجلس التمييز الشرعي الجعفري عام 1934 حتى عام1947
- عين عضواً في مجلس الأعيان عام1947
- أستوزر أكثر من مرة ،وزيراً للدولة،منذ عام1953
- لم ينقطع شاعرنا عن نظم الشعر حتى في شيخوخته.
- /11/8. توفي يوم الثلاثاء 3 ربيع الثاني عام 1384 هـ الموافق1964